

الحركة النسوية...قراءة في تمفصلات المفهوم

محمد بن علي

1- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أحمد زبانة، غليزان.

mohamed.benali@univ-relizane.dz

تاريخ الإرسال: 2025/06/16؛ تاريخ القبول: 2025/08/22

The feminist...Reading in the shifts of the concept

Benali Mohamed

Abstract:

This contribution aims to trace the question of women by exploring the perspective that accompanied the path of the concept, which was contested by fields of knowledge and social and cultural visions that played an important role in directing responses according to their context.

From this preamble, we will attempt in this contribution to delve into the historical, ideological, and cultural journey of the concept of women, leading to the emergence of feminism, which also underwent numerous transitions starting from the ideological and cultural views that defended the concept of feminism, moving it from its classical formulation (the issue of

women) to a more radical and competitive formulation (feminism).

Keywords: Women ; Second ; Gender ; Sexuality ; Feminism .

الملخص:

تهدف هذه المساهمة لتتبع رحلة سؤال المرأة من خلال التنقيب في المنظور الذي رافق مسار المفهوم، الذي تنازعتة حقول معرفية، ورؤى اجتماعية و ثقافية لعبت دورًا هامًا في توجيه الاستجابات وفقًا لسياقها. سنحاول في هذه المساهمة استكشاف الرحلة التاريخية والأيدولوجية والثقافية لمفهوم المرأة، وصولاً إلى بروز فكرة النسوية التي عرفت هي الأخرى تحولات عديدة، تبعاً للمرجعيات الأيدولوجية والثقافية التي دافعت عنها، ونقلتها من صياغتها الكلاسيكية (قضية المرأة) إلى صياغة أكثر جذرية (النسوية).

الكلمات المفتاحية: المرأة ؛ المجتمع ؛ الجندر ؛ الجنسانية ؛ النسوية.

مقدمة:

النسوية في أصولها حركة سياسية تهدف إلى غايات اجتماعية، تتمثل في حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها، والفكر النسوي بشكل عام أنساق نظرية من المفاهيم والقضايا والتحليلات تصف وتفسر أوضاع النساء وخبراتهم، وسُبل تحسينها وتفعيلها، وكيفية الاستفادة المثلى منها، حيث تنطلق من مجموعة من التصورات الفكرية والفلسفية التي تسعى لفهم جذور وأسباب

المؤلف المراسل: بن علي محمد

Almawaqif

mohamed.benali@univ-relizane.dz

Vol. 21 N°: 01 Mois: 11

Année 2025

التفرقة بين الرجال والنساء، وذلك بهدف تحسين أوضاع النساء وزيادة فرصهن في كافة المجالات.

يلاحظ الباحث المتتبع كيف أن هذا المفهوم عرف إنزياحات كثيرة لم تعد معها مطالب النسوية تقف عند مطلب الاعتراف والقضاء على التفاوت، بل وصلت لحد المطالبة بحق الفرد (ذكر/ أنثى) فيما يريد أن يكون عليه.

فما النسوية؟ وما الذي يميز نضالات الحركات النسوية عن نضالات سابقتها حول قضية المرأة؟ وما مآلات هذه الحركة؟

مفاهيم الدراسة:

مفهوم النسوية:

تعبّر النسوية عن مجموعة من التصورات الفكرية والفلسفية التي تسعى لفهم جذور وأسباب التفرقة بين الرجال والنساء، وذلك بهدف تحسين أوضاع النساء وزيادة فرصهن في كافة المجالات. "وتغيير بنى العلاقات بين الجنسين وصولاً إلى المساواة المطلقة كهدف استراتيجي، وتختلف نظرياتها وأهدافها وتحليلاتها تبعاً للمنطلقات المعرفية التي تتبناها" (الكردستاني، 2004).

في كتابها: من الهامش إلى المركز، النظرية النسوية. تقدّم الناشطة النسوية الأفرو-أمريكية بيل هوكس (bell hooks) تعريفاً للنسوية على أنها: حركة تهدف إلى إنهاء التمييز والاستغلال والاضطهاد على أساس الجندر". كون هذا التمييز ما هو إلا مواضعة ناشئة عن أسلوب التنشئة التي تلقاها

الفرد، فنحن ومنذ الولادة تلقينا جميعاً، إنثاءً وذكوراً، ومنذ نشأتنا، تربيةً اجتماعيةً اعتمدت على تقبُّل الفكر والفعل القائمين على التمييز على أساس الجندر. وهو ما أنتج تمييزاً يتقاسمه النساء والرجال على حد سواء. وفي حين أن هذا الأمر لا يقدم عذراً أو تبريراً لهيمنة الذكور، فإنه يعني قطعاً أنه من السذاجة وقصور التفكير أن تذهب المفكرات النسويات إلى الاعتقاد بأن الحركة هي للنساء ضد الرجال (إيبرت، 2023).

مفهوم الجنس والنوع الاجتماعي:

يشير مفهوم "الجنس-Sex" إلى الجوانب الثابتة تشريحياً من الجسد. بينما (الجندر-Gender) هو المعنى الثقافي والشكل الذي يكتسبه هذا الجسد، والأنماط المتغيرة الناتجة عن تكييفه الثقافي (Butler، 1986). وهو بهذا يعتبر ظاهرة اجتماعية ذات أبعاد سياسية، تهتم بتحديد مركز الفرد أنثى/ ذكر في المجتمع (منصور، 2019). على اعتبار أن الواقع ما هو إلا نتاج الثقافة وليس الطبيعة...ومن ثم فإن القوانين الطبيعية هي منتج قابل للتفاوض، يخضع للمراجعة والتغيير (ليهان، 2025).

ومن ثم فإن الجنس ثابت بينما النوع أو الجندر يتغير بتغير الزمان والمكان، لأنه معيار ثقافي. ونتيجة لهذا اللغظ حول مفاهيم الجنس والجنوسة (النوع)، رأت بعض النسويات أنه "يتعين أن يستمر البحث عن طرق تُحل بها الفروق المحتومة عن تلك التي نختارها أو تلك التي تفرض علينا (خديجة، 2005).

بناء على هذا تصبح مفردات (الذكر والأنثى، الرجل والمرأة)، مجرد بناءات تداولية ليس لها من صلاحية سوى مفعولها الإنجازي داخل جماعة

لغوية أو تواصلية مخصصة. وفي ضوء سياسات الهوية ومسألة السلطة باعتبارها مشكلاً تداولياً. كان الرهان النسوي تنويرياً (تحرير المرأة) في حين أن البحوث الجندرية هي تفكيكية أو كما تقول جوديت بتلر (Judith Butler) "تخريبية". إنها تتعلق بمراجعة مقولات الذكورة والأنوثة وطبيعة دورها في تبرير الهوية أو السلطة (المسكيني، 2023).

البطيركية:

لغة: تعنى (الأب) قائد الأسرة أو القبيلة، ومجازاً راعي الكنيسة. اصطلاحاً: نسق البنى والممارسات الاجتماعية الذي يقوم فيه الرجال بإخضاع النساء وقمعهن واستغلالهن (غيدنز، 2005). تعرفه السوسيولوجية سيلفيا والبي Silvia Walby بأنه "نظام من الانظمة والممارسات الاجتماعية، حيث يهيمن الرجال على النساء ويقمعوهن ويستغلوهن" (خديجة، 2005).

بينما ترى اليمنى الخولي أن البطيركية هي بنية الحضارة الإنسانية - على اختلاف مراحلها وتطوراتها القائمة على مؤسسات وعلاقات اجتماعية تكون المرأة فيها ذات وضعية أدنى خاضعة لصالح الرجل، ويتبوأ الرجال السيادة والمنزلة الأعلى، حتى يمتلكوا سلطة تشكيل حيوات النساء أنفسهن؛ حتى بدت الحياة وكأنها حق للرجل وواجب على المرأة (الخولي، 2018).

إجمالاً يمكن القول أن البطيركية "بنية اجتماعية وسيكولوجية متميزة تطبع العائلة والقبيلة والسلطة والمجتمع، وتكون علاقة هرمية تراتبية تقوم على التسلط والخضوع اللاعقلاني والذي يتعارض مع قيم المجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان، نتج عن ظروف تاريخية واجتماعية وثقافية وعبر

سلسلة من المراحل التاريخية والتشكيلات الاجتماعية والاقتصادية
المتراصة فيما بينها " (القاطرجي،، 2016)

سؤال المرأة في بواكير الفكر الفلسفي:

درج الفكر القديم، على تبني فكرة "النظر للمرأة على أنها بحكم الطبيعة أدنى. وهي من ثمّ محكومة في وظيفتها بإنجاب الأبناء، والقيام بالواجبات المنزلية، أما العلاقات الاجتماعية ذات المغزى فينبغي أن تترك للرجال وحدهم (أوكين، 2009). نلمس بوضوح نبرة الدونية هذه في بواكير الأدب اليوناني، حيث تميل أعمال هيزيود (750 - 650 ق.م) إلى أسطرت ظهور فكرة الشر في العالم تزامنا مع ظهور المرأة، " فقد عاش الرجال على الأرض فترة طويلة أحراراً بغير مرض ولا تعب ولا جهد، ثمّ ظهرت "بانديورا pandora"، التي خلقها إله الحدادة الأعرج- للمرة الأولى التي جلبت معها الشرور والشقاء للعالم. "ومنها ظهر جنس خبيث وقبائل من النساء، ومصدر عظيم للأذى".

عندما نعرّج بواكير الفكر الفلسفي، حيث استقرّ البحث عن رؤى واضحة للإنسان والوجود، تصادفنا معالم رؤية اجتماعية وسياسية، تُمكن المتتبع لها من الكشف عن وضع الإنسان عموماً والمرأة على وجه الخصوص. حيث تبدو أفكار أفلاطون عن المرأة، في البداية، لغزاً يصعب فهمه، فكيف يمكن للفكرة التي تقول أن المرأة بطبيعتها شريرة وأكثر شراً من الرجل، أن تتفق مع الفكرة الثورية التي تقول إن المرأة يمكن أن ترتفع إلى مستوى الحكام الفلاسفة في الدولة المثالية" (أوكين، 2009).

تحمل رؤى أفلاطون في جميع المجالات نزعة تتجه لحفظ الاستقرار والتنظيم لقبول الأمر الواقع، ورفض كل دعوة للتغيير، كالتي حاول التيار السفسطائي الانتصار لها، حيث مثلت آراؤهم منافسا شرسا لما كان يروج له سقراط وتلميذه افلاطون بعده. لقد عبر السفسطائيون صراحة أن التغيير هو الأصل وأن الثبات ما هو إلا عرض، وبينوا ذلك من خلال موقفهم من نظرية العدالة التي عبروا عنها بالقول "العدالة ليست إلا صالح الأقوى...ولمّا كان المفروض ضرورة هو أن الحكومة هي الأقوى، فالنتيجة الوحيدة المعقولة هي أن مبدأ العدالة واحد في كل شيء وهو صالح الأقوى" (أفلاطون، 2023).

في مقابل هذه النظرة الثورية كان رأي أفلاطون الداعي لاحترام سياسة الأمر الواقع يرى أن "أعظم أسباب كمال الدولة هو تلك الفضيلة التي تجعل كلاً من الأطفال والنساء والعبيد والأحرار والصنّاع والحاكمين والمحكومين يؤدي عمله، دون أن يتدخل في عمل غيره". وفي موضع آخر يضيف "لهذا كان من خصائص دولتنا وحدها أن الحدّاء فيها حدّاء فحسب، وليس ملاحاً في الوقت نفسه، وإن الزارع زارع فقط، وليس قاضيّاً في الوقت ذاته، وأن الجندي جندي، وليس تاجرّاً كذلك، وهكذا الأمر في الجميع". وهذا عين العدل، لأن

فكرة العدالة كما نظر لها مفكرو العصور القديمة، تنصبّ على الأساس الأخلاقي والثقافي للسلوك البشري، لأنها بعبارة جامعة، بوصلة اخلاقنا المشتركة، حيث ترشدنا الى حياة الفضيلة والسعادة داخل النظام (باحثين،

(2023). وهذا ما تكشف عنه رؤى أفلاطون، حيث أن عدم المساواة يعكس القدرات المختلفة بين المجموعات، وقد عدّ المواقع الاجتماعية متجذّرة في الهبات الطبيعية بكونها مسألة نظام اجتماعي متناغم، يتوافق فيه أعضاء كلّ طبقة مع مكانهم الطبيعي في المجتمع (باحثين، 2023)

ورغم أن أفلاطون ساوى بين المرأة والرجل، في جميع الأعمال الخاصة بطبيعة الحكام (شندي، 2011)، ولكنه أراد أن يجعل من المرأة رجلاً من خلال "خلق الانسجام بين طبائعين وطبائع الرجال...وأنه لا بد أن تسند إليهن كل المهام المتعلقة بالحرب ومرافق الحياة الأخرى، لتكون كلّها مشتركة" (أفلاطون، 2014). فالأوصاف التي أراد أفلاطون من المرأة أن تكتسبها هي أوصاف رجولية، كالقدرة على القتال وممارسة الرياضة البدنية وهي عارية أمام الرجال، إنه يريد أن يلغى وجود المرأة بوصفها امرأة، ويودّ أن يراها تختلط بالرجال وكأنها واحد منهم، دون فارق بين الجنسين.

لقد أراد المرأة القويّة المجرّدة من العواطف، لا يودّ أن تكون العلاقة بين الرجل والمرأة مبنية على المشاعر الفردية، بل يريد لها علاقة لا شخصية، تتم في مواسم معينة، بين الأشخاص الذين تختار الدولة كلّاً منهم للآخر، دون أن يكون للاختبار الشخصي أي دور في اتصالهم. ويذهب في إنكاره للطابع الشخصي في علاقة الرجل بالمرأة إلى حد القول أن أيّ طفل يُنجبه رجل وامرأة لم تجمع بينهما الدولة... ينبغي أن يُعدّ لقيطاً. (أفلاطون، 2023).

على نفس المنوال والخطوات جاءت أفكار تلميذه أرسطو، الذي عُرف بواقعيته وبحثه فيما هو كائن، حيث راح يؤكد أن الأنوثة نقص وتشوّه، وأن المرأة امرأة لأنه ينقصها ما يجعلها رجلاً، وبالتالي الرجل هو الأرقى والأكمل، فيجب أن يكون هو الحاكم وهي المحكوم. إنه فارق جوهري في النوع البشري بأسره، كالفارق بين الروح والجسد. هكذا كان المعلم الأوّل... من أقوى أنصار الحتمية البيولوجية التي تُبرّر وتفرض الوضعية الدونية للمرأة (الخولي، 2018).

مع فلاسفة العصر الحديث احتل الكوجيتو الديكارتي مرتبة الصدارة وأصبح مقياس لعلاقة الأنا بالوجود، فالعبارة "أنا أفكر أنا موجود" انسحب تأثيرها على علاقتها بالآخر المغاير، لأن الأنا وعي فردي، بوصفه منشغلا بمصالحه ومنحازا لذاته. غير عادل من حيث إنه يجعل من نفسه مركزا لكل شيء، وهو من جهة أخرى مضايق للآخرين من حيث إنه يريد استعبادهم؛ ويريد أن يكون المسيطر على الكل، سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعا لها.

استقبلت الحركة النسوية المتن الفلسفي والإرث الثقافي والاجتماعي السابق، من زاوية تركز على منطق الهيمنة الذي سيطر على مقولات الأنظمة الفكرية والاجتماعية للعصور السابقة، مؤكدة على أن النظام الاجتماعي الذي كان سائدا طوال العصور السابقة من تاريخ الحضارة، يرسخ الهيمنة الذكورية، والنظرة الدونية إلى المرأة، فكأن المرأة جنس آخر،

فهي كما صوّرها التراث الديني اليهودي والمسيحي مصدر الشر والخطيئة والشقاء.

انطلاقاً من هذا النقد رسمت الحركة النسوية معالم خط سيرها، في إطار السعي لتقويض النظام الباتريركي المهيمن على الحضارة الإنسانية منذ العصور القديمة، وصولاً إلى مرحلة الحداثة الغربية، وتفكيك البنى الاجتماعية التي أفضت إلى هيمنة الرجل على المرأة

تيارات الفلسفة النسوية:

لا يمكن الإحاطة بمفهوم النسوية من دون الإشارة إلى التحولات التي عرفها المفهوم في رحلته التاريخية بناء على التطور الذي عرفه، فالنسوية (الهامش 1) لم تعد مجرد حركة سياسية أو اجتماعية تنشد العدالة، وإنما هي أيضاً إطار تحليلي ونظرية تمكّنا من خلال استخدامها تحليل واقع المجتمع وواقع الأفراد فيه. ضف إلى ذلك أن النساء حول العالم لسن جماعةً اجتماعيةً متجانسةً، بمعنى أن قضاياهن وأولوياتهن متفاوتة بحسب طبقتين الاجتماعيتين وأعمارهن ومستوى تعليمهن وديانتهن وخلفيتهن الإثنية والعرقية وما إلى ذلك. وبناءً على هذه الحقائق، تتعدّد المدارس النسوية وتتفاوت في تشخيصها لواقع النساء والمجتمع، وتتفاوت هذه المدارس أيضاً في طروحات ومشاريع التحرير والعدالة التي تدعو إليها (إيبرت، 2023).

- النسوية الليبرالية:

تعد من أقدم الحركات النسوية، تعود أصولها الى الفلسفة الليبرالية، حيث ركزت مطالبها على الحرية والعدالة والمساواة، ومنح النساء دورا فعالا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، بعيدا عن التمييز على أساس الجنس...ولم يبحث عن بديل خارج هذه الافتراضات...فالموقف الفكري للنسوية الليبرالية ظل يطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة كمواطنين في ظل النظام المجتمعي الذكوري نفسه (عجور، 2014)...ولكنها تأثرت لاحقا بفكر ما بعد الحداثة...وعلى الرغم من أن النسوية محملة بالإيديولوجيات، فإنها أصبحت في مسيرتها مشروعا نظريا معرفيا يصل لحد التعدد والتناقض. حيث قامت مفكرات نسويات (ج- بيتلر، ج- سكوت، ج- كريستيفا) بالتنظير لتوجّه نقد هوية النوع، ورفض فكرة الذات المستقلة والتصنيفات القائمة على جوهانية ثابتة (رجل- امرأة). حيث شككت جوديت بيتلر (j- butler) في مقولة أن الجنس ذو طبيعة ثابتة، وفضت الادعاء القائل بأن الجنس والجندر ثابت ومؤسس اجتماعيا.

النسوية الماركسية(الاشتراكية):

ركّزت على مشكلة الهيمنة الذكورية والاستغلال الطبقي، فالنظام الأبوي- كما تؤكد الناشطة الماركسية Nadia De Mond - يوجد دوما في علاقة مع مختلف أشكال إعادة الإنتاج الاجتماعي والاقتصادي. فالوعي بمكانة المرأة، أي تحرر نصف النوع البشري، ونصف الطبقة العاملة،

وسيلة وأداة لا غنى عنها في الكفاح من أجل تحرير البشرية جمعاء" (العلوي، 2017).

تتفق النسوية الماركسية مع النسوية الراديكالية في القول بأن جذور قمع المرأة موجودة في المجتمع، حيث ترى الماركسيات أن سلطة الرجل على المرأة من خلال قوانين الأسرة تشبه الاستغلال الذي يمارسه رب العمل في الاقتصاد الرأسمالي، الذي يقسم العمل على أساس النوع، مما ينجّر عنه- بالإضافة للتمايز الطبقي- تمايزا نوعيا.

- النسوية السوداء: noir féminisme/feminism Black

ترفض النسوية السوداء كل أشكال التمييز العنصري والطبقي، وتناضل من أجل إلغاء التمييز القائم على أسس إثنية وعرقية. إنَّها النسوية الخاصة بالزنوجيات في مقابل النسوية الليبرالية البرجوازية التي شيدتها نساء بيضاوات، وتُشير إلى إبستمولوجيا خاصة تمثل المعرفة الناجمة عن الخبرة الحية المتميزة للمرأة السوداء، والتي تنطوي على رفضها الخاص لانفراد الرجال بمراكز السلطة المعرفية، مثلما ترفض أيضًا انفراد النساء البيضات بالسلطة المعرفية في الفلسفة النسوية، اشتدَّ عودها في التسعينيات، وانضم إليها نسويات من أفريقيا وأمريكا اللاتينية (الخولي، 2018).

- النسوية ما بعد-كولونيالية:

المذاهب النسوية بعد-استعمارية هي تلك المذاهب النسوية التي تعطي أولوية قصوى للتجربة الاستعمارية الغربية وتأثيراتها المعاصرة في عملية

طرح موقع للحديث يُفصح عن وجهة نظر للهويّة الثقافية أو القومية أو الإقليمية أو الاجتماعية، مع المذاهب النسوية بعد-الاستعمارية، تنقلب عملية النقد لتغدو موجهةً ضدّ الآخرين المختلفين ثقافياً. وعلاوة على هذا، وجهت نقداً مكثّفاً للأفكار النمطية الشائعة عن الجنوسة والبنيات الرمزية لجسد المرأة التي تُستخدم لتعزيز الأفكار الذكورية العتيقة عن الهوية القومية.

تنبّه المذاهب النسوية بعد-كلونيالية الانتباه إلى خطر انغلاق الذات المُهيمنة ثقافياً، وذلك بلغة المطالب التي يضعها الآخرون وتمارس وطأتها على الذات المهيمنة. وعلى المستوى السيكلوجي للذات، تصطنع تلك المذاهب النسوية افتراضاً مفاده أن وحدة النفس أو العقل التي تشعر بها الذات المهيمنة ثقافياً هي وحدة مصطنعة كلية، وأن واحدة هذه الذاتية أو ذاتيتها...ما كانت ممكنة إلا بفضل مناصرة وتأييد من الفلسفة الاستعمارية، سواء تمّ الاعتراف بهذه المناصرة صراحةً، أو جرى إسباغ المشروعية عليها ضمناً (هاردينج، 2017)

- النسوية المتطرفة:

ترى أن المشكلة تمكن في نظام السلطة الأبوية. وقد انبثقت عن هذه الرؤية حركة أكثر تطرفاً وهي النسوية المثلية (السحاقية) والتي وعلى العكس من مطالب النسويات الأخرى، ركّزت على مقولة الجنس واولتها مرتبة الصدارة ودافعت عن الاباحية الجنسية، لأن الزواج بمفهومه السائد ما هو الا تعبير عن رؤية المؤسسات السائدة.

تنطلق النسوية الراديكالية المتطرفة من الاعتقاد بأن الرجال هم المسؤولون عن استغلال النساء وهم المنتفعون في الوقت نفسه من هذا الوضع (غيدنز، 2005). كما تركز هذه المدرسة على العائلة باعتبارها المنبع الأول لقمع المرأة في المجتمع. وفق هذا لا تؤمن المدرسة الراديكالية بأن المرأة ستحرر من القمع الجنسي عن طريق الإصلاح أو التغيري التدريجي، إذ لابد من الإطاحة بالنسق البطريكي (PATRIARCHY)، المتمثل في سلطة الرجال والمؤسسات الذكورية الدينية والسياسية والصناعية والعسكرية، والنقابات العمالية الذكورية. كل ذلك جزء من نظام السلطة الأبوية، الذي يقوّي سلطة الرجال على النساء والاطفال في عائلاتهم (سوزان، 2005).

مثل هذه الرؤى الراديكالية وغيرها عبرت عنها المفكرة الوجودية سيمون دي بوفوار، التي حاولت التنظير لفكرة التمرکز حول الأنثى، واعتبرت مؤسسة الزواج مؤسسة قمعية يجب تجاوزها وإلغاؤها، لأنها تمثل أكبر عائق أمام تحقيق المرأة لذاتها.

- النسوية العابرة للحدود:

نشأ نموذج النسوية العابرة للحدود الوطنية استجابةً للاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية التي فاقمت انتهاكات حقوق المرأة بشكل غير متناسب منذ إعادة الهيكلة النيوليبرالية للاقتصاد العالمي في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي. "يقترح هذا النموذج أنه لفهم أفضل لحقوق المرأة والعدالة، لا بد من إسهامات من علم نفس موجه نحو العدالة الاجتماعية، يدمج بين الدراسات النسوية والنتائج التجريبية المستندة إلى

مقاومة ونشاط النساء على مستوى القاعدة الشعبية. ويقترح علم نفس تحرر نسوي عابر للحدود الوطنية... من خلال تعزيز تحالفات هادفة مع آخرين يعملون خارج الأطر الأكاديمية في سعي مشترك نحو التحرر، باستخدام منهجية تبحث في مواقع المقاومة، مما يُبرز طيفًا أوسع من التجارب المعيشية للنساء، و يدركون كيف تؤثر أبعاد القوة وعدم المساواة على البحث. ونظرًا للانتهاكات المستمرة لحقوق المرأة عالميًا، من الضروري فهم الظروف النفسية والاجتماعية التي تؤدي إلى العدالة" (Grabe, 2018).

بالإضافة للتيارات النسوية التي ذكرناها سابقا، تبقى تيارات أخرى يمكن للقارئ الرجوع الى مضامينها هنا وهناك، من قبيل: النسوية الإسلامية، النسوية الايكولوجية...ما بعد النسوية...الخ

أطروحات النسوية:

يُعدّ كتاب سيمون دي بوفوار "الجنس الآخر"، المرجع المهم لكل الحركات النسوية في بداية تبلور مفهوم "الجندر" حيث أشارت إلى أن صفاتنا النفسية والاجتماعية وأدوارنا لا تولد معنا بل نكتسبها من خلال التربية والثقافة المحيطة، فدور المرأة والرجل قد يختلف من مكان إلى مكان باختلاف ثقافة تلك المنطقة، كما أنه يختلف باختلاف الزمان، وقد لخصت أطروحاتها تلك في مقولتها الشهيرة "لا يولد الإنسان امرأة، إنما يُصبح كذلك". ولم تكن تدري آنذاك أن هذا المفهوم سيصبح الخلفية الفلسفية الأساسية لدى للكثير من الحركات النسائية التي تبنته وعملت على إدماجه في كافة مجالات الحياة والتنمية، على اعتبار أنه المنطلق الأهم لتجريد

جنسي الذكورة والأنوثة من كافة الفوارق الاجتماعية التاريخية التي يمكن أن تكون سبباً في أي تمييز بين الرجال والنساء (الرجبي، 2014).

بينما انطلقت جوديت بتلر من مفهومَي "الصِّراع والاعتراف" المستمدان من المتن الهيجلي لدعم فكرتها حول تاريخ تحرُّر الذات، حيث أعادت قراءة عمل سيمون دي بوفوار "الجنس الآخر" ضمن سياقات وجودية ما بعد حداثة لا تسعى إلى نفس العلاقة المصطنعة بين الجنس والجندر وحسب، بل وإلى نفس الجنس ذاته. توضّح "بتلر" عبر قراءتها لبوفوار كيف استطاعت الأخيرة تحرير حقل دراسات الجندر من خلال النظر إليه كصيرورة مزدوجة المعنى، تمثل جدلاً مستمراً بين المشروع الاختياري الذاتي والبنية الثقافية الخارجية، متحدىً بذلك نظرية الجندر ونظرية الاختيار الوجودية في شكلهما الكلاسيكي.

تضع بتلر نظرة دو بوفوار عن الجسد وعلاقته الشائكة بالجندر في مقابل النظرة الساترية / الديكارتية التي تفترض مسافة بين الإثنين. وفقاً لبيتلر، تزيل بوفوار الغشاوة عن التصور القاصر للجندر كاختيار ذاتي حر، منفصل عن محددات الجسد (Butler، 1986). فهو يُقاومُ كُلَّ تصوُّرٍ يُعتَبَرُ الحياةَ الجنسيّة واقعةً طبيعيّةً، ويُناضلُ من جهةٍ ثانيةٍ ضدَّ الفلسفات التي تنفي عن الحياة الجنسية قيمتها الذاتية.

من خلال هذه الرؤية برز التساؤل عن فئات الجنس والجندر وعلاقة كلٍّ منهما بالآخر، تساؤل تلقفته نظرية الكوير (queer). وتطوّر بعد ذلك ليقود لانقلاب جذري، لمفهوم الطبيعة الثابتة، فكل ما أصبح معترف به هو فكرة

الأدوار، أي أنّ الجندَر هو إمكانيّة مَفْتُوحَةٌ... مَا يَجْعَلُ الْأُنْثَى تَنْسَلِخُ عَنْ هُويّتها الذّاتية لِتَخْتَرِقَ نِطاقَ هُويّةٍ أُخْرَى. وهي بهذا توجّه اهتمامها نحو التّركيبة الجِنسيّة والجندريّة، داعيةً إلى إعادة تَفْكيكِ المفاهيم الجِنسانية بعيداً عن تأثيرات الخطّاب المركزي.

لم تعد الحركات النسوية في تعريفها للأدوار الاجتماعية تقف عند سؤال المساواة، بل أصبح شغلهم الشاغل يستهدف تحقيق الاستقلال الذاتي، الذي يعني الحق في قبول أو رفض المعايير الاجتماعية. فإذا كان النضال من أجل المساواة يفترض قبول المعايير السائدة والانسجام مع مقتضياتها. فإن النضال من أجل الاستقلال الذاتي يفترض إعادة تعريف الأدوار الاجتماعية والحق في رفض هذه المعايير وفي ابتكار معايير أخرى جديدة (كيميلكا، 2010)، تتجاوز الفكرة الكلاسيكية التي تفصل العام عن الخاص، داعية إلى إعادة صياغة مفهوم الأسرة (تحرير الأسرة) على قاعدة الاستقلال الذاتي وليس على أساس تراتبية.

مع ظهور ما يسمى بعلم النفس النسوي، ازدهرت فكرة ربط الرفاهية النفسية بموقع الفرد في البنية الاجتماعية، وأن الأطر الاجتماعية والثقافية، والقوانين التي تضع المرأة في موقع التبعية تضرّ بالرفاهية النفسية للمرأة وتعوق نموّها السليم، وهذا ما يمثل عائقاً أمام دعاوى تحقيق المساواة. وينتهك الحقوق الأساسية للمرأة. والمنحى نفسه اتجهت اليه

العديد من الدراسات المعاصرة، حيث ربطت بين قضايا العدالة الاجتماعية وحقوق الانسان وبين الرفاه النفسي للمرأة" (باحثين، 2023). رغم هذا تعتبر النسويات أن المبادئ التي تمت صياغتها تبقى قاصرة عن ادراك حاجيات النساء وإعطاء تجاربهن المكانة المستحقة، لأنها صيغت وفق منطق العقلية والمصالح الذكورية (كيميلكا، 2010).

مشروع النسوية مشروع هيمنة أم تحرر؟

تأثرت الحركة النسوية بشكل كبير بحركة الاحتجاج السوداء في الستينيات، والوعي بعدم المساواة بين الجنسين، والحاجة الى تحرير المرأة من الصور النمطية الثقافية، وقد رأى ممثلو هذه الحركة أن المجتمع الذكوري هو السبب الجذري الذي ينطوي على قمع كل السود والنساء (ليمان، 2025). وهنا تكمن نقطة ضعف النسوية الغربية؛ لأن النسوية إذا تحددت بحدود ضيقة، فسوف تصطنع لنفسها "آخر" من النساء اللاتي تخفق في تفهيم طريقهن للتحرر أو تخفق في الاعتراف به. وعلى وجه الخصوص، سوف تهبط بالعديد من نساء الأقطار الشرقية والجنوبية إلى مرتبة "الآخر"، النساء اللاتي لا تتوافق رؤاهن توافقا تاما مع مقولات النسوية الغربية.

قد يعود بنا هذا النمط من الاستبعاد المتبادل إلى طريق مسدود بين نسوية الشمال ونسوية الجنوب، بين الشرق والغرب- كما أشارت ترينه- منه-ها في كتابها " المرأة، الأهالي، الآخر Woman, Native, Other"- وحين

تحاول "النسويات الغربيات إدانة ظروف قهر المرأة في بلدان العالم الثالث بمصطلحاتٍ وُضعت لتعكس أو تلائم مقاييس المساواة عند نساء أوروبا وأمريكا، "أي أنها أيديولوجية نساء برجوازيات موضعها في الغرب، وأنها لهذا تجعل النساء يغتربن عن ثقافتهم". (هاردينج، 2017)

تهدف إيديولوجيا الهيمنة- تبعاً لتحليلات غرامشي- لفرض مشروع ثقافي أحادي للعالم، في مقابل تدمير الخصوصيات، بغرض أحداث نوع من التبعية، ضمن آلية لا شعورية تقدم نفسها كنسق كامل من المعايير والقواعد، التي يتم تصديرها كمعيار لأنموذج كوني.

أصبحت النسوية اليوم تعبر عن النموذج المتمركز حول الأنثى، وهي على هذا تختلف عن رؤى مطالب "حركة تحرير المرأة"، التي هي حركة اجتماعية تدرك المرأة باعتبارها جزء من المجتمع، ومن ثمّ تحاول الدفاع عن حقوقها داخل المجتمع، مستندة إلى فكرة العقد الاجتماعي والانسان الطبيعي والاقتصادي. ومع تراجع البعد الاجتماعي وتنامي مد العلمنة، تمّ التنظير لإدراك الأنثى خارج أي اطار اجتماعي (المسيري، 2010)، ضمن رؤية معرفية متكاملة، نابعة من اعتبار الأنثى كيان مكتفى بذاته.

قضية المرأة في معترك الصراع الحضاري:

تزام الاحتلال الاستيطاني للجزائر مع توسّع المركزية الأوروبية في بدايات القرن 19م، ومشروعها الرامي للهيمنة على الآخر المختلف (المتخلف) وفق المقاربة التطورية التي تُلصق صفة التوحّش والهمجية بالمجتمعات البدائية،

وأن المجتمعات الغربية هي الأكثر تحضرا وتقدماً، وهذا الطرح ما هو إلا تعميق لصورة التمرکز الغربي، القائم على أساس التفاوت بين الغرب الأسى والأرفع ثقافيا وعقليا وحضاريا، وباقي شعوب العالم، وهذا أصبح الغرب يتربع على قمة كل شيء، وبوصلة كل المجتمعات التي تريد أن تشق طريقها في مسار التحضر. طريق لا يمكنها السير فيه إلا بمساعدة الغرب المتحضر، الذي حمل لواء تمدين العالم غير الأوربي وإدماجه في صلب الحضارة، وتصحيح مساره التاريخي، بما أن العالم غير الأوربي (الآسيوي والإفريقي خصوصا) ما زالت شعوبه قاصرة، ولم تبلغ سن الرشد الحضاري والعقلي، وعاجزة عن إنجاز المهام الحضارية بمفردها.

لم تبقى قضية المرأة بمنأى عن عبث الاستعمار، ولهذا عمل على استدراج المرأة الجزائرية لحلبة الصراع بشتى وسائل الاغراء، فتم فتح مراكز لتعليم الخياطة والطبخ واللباس بغرض استقطاب فتيات الأسر الفقيرة نحو الثقافة الفرنسية، وسلخهم عن أصول ثقافتهم المحلية ودمجهم في منظومة المستعمر الثقافية والقيمية. ومن جهة أخرى توفير اليد العاملة التي يحتاجها اقتصاد المحتل بأقل التكاليف. ولسان حالهم يقول: لو تمكنا من استقطاب مئة ألف من بنات الأهالي وإشباعهن بمبادئ حضارتنا، بحيث يؤخذن من مختلف فئات المجتمع وأعراق الأيالة، ستصبح هذه الفتيات بحكم الظروف، الزوجات المفضلات للرجال ذوي المكانة المرموقة ضمن الفئة التي ينتمين إليها في المجتمع، ومن ثمّ نضمن للأبد خضوع البلد، ويكون بالتالي الرهينة التي يصعب استردادها" (حكيم، 2020).

لم تتوقف مكائد الاستعمار عند نقطة الاستقطاب هذه، بل تم توظيف قضية المرأة لتحقيق هدف أبعد، وهو ضرب الدين الاسلامي، من خلال تسويق فكرة أن تخلف المرأة الجزائرية مردّه للشريعة الاسلامية، التي ظلمت المرأة، وأبقتها في درجة أدنى من الرجل، ومن ثمّ لا سبيل امامها إن هي ارادت الانعتاق من هذا الوضع، سوى تقليد نظرياتها الأوروبية والسير على خطاهن. وهذا يؤكد المقولة الاستعمارية بان الشعوب الواقعة تحت الاستعمار، يأتي اليها الاستعمار بمنظومته الليبرالية ليخلص النساء ويحررهن. تحرير ظاهره تنويري وباطنه يستهدف سلخ الشعوب المستعمرة من هويتها، كما جاء "إذا أردنا أن نضرب المجتمع الجزائري في صميم تلاحم أجزائه، وفي خواص مقاومته، فيجب علينا قبل كل شيء اكتساب النساء، ويجب علينا السعي الى البحث عنهنّ خلف الحجاب حيث يتوارين، وفي المنازل حيث يخفين الرجال" (عجور، 2014). فالمستعمر لم يقصد تحرير جسد المرأة الجزائرية، بل كان يقصد الحيلولة دون نجاح الثقافة التي تقدس الجسد في استخدام المقدس هذا لصالح المقاومة.

خاتمة:

لحوصلة ما سبق استعراضه من أفكار يمكن القول أن سيرورة مفهوم (المرأة) وحقوقها، وصولاً الى تيارات النسوية في الثقافة الغربية له خلفيات ضاربة بجذورها في التراث الثقافي الغربي، بداية من النصوص التوراتية مروراً بالفلسفة اليونانية والمسيحية، وصولاً الى الثقافة الغربية الحديثة والمعاصرة. ولا يمكن بحال من الأحوال أن تعبّر عن آمال وطموحات المرأة غير الغربية- ناهيك عن المرأة العربية- المسلمة "فالتفكير

بقضية المرأة اليوم لا يتنزل فقط في سياق معركة ضد الرجل أو تحت راية الاختلاف الجنسي، أو معارك الجنوسة النسوية الليبرالية... فالمسألة ليست مسألة عراك بين الأنوثة والفحولة، وليست مسألة مساواة فقط في الحقوق الكونية؛ لأن هذه المسائل قد تشغل النموذج الليبرالي للمرأة الحديثة، لكنها لا تعني شيئاً بالنسبة للمرأة الكادحة التي قد لا تنشغل، وهي تشتغل في الحقول في حر الهاجرة، إلا برغيف أبنائها (المسكين ف..)، (2025).

ندرك أن التلقي اللاوعي للمنتج الثقافي المهيمن، يخلق ثقافة لا واعية، تتناول المصطلح الوافد- إن في الممارسة أو التنظير- تناولا يساير الثقافة المهيمنة، تؤدي إلى تمييع ثقافتنا الخاصة، وإحلال تتبع لا وعي للثقافة المسيطرة. وعليه فإن تلقي مصطلح النسوية (النسوية كحركة فكرية واجتماعية أو كتيار بحثي أكاديمي) واشكالاته، وصبغ قضايا المرأة بنفس اشكالات الواقع الغربي، هو ما تعاني منه قضايا المرأة فالعربية الاسلامية. ولا يعني هذا رفض الثقاف، بل يعني الدعوة إلى قراءة تفاعلية واعية، بعيدا عن الروح الانهزامية والاتباع اللاوعي. فحينما يتم الحديث عن النسوية، فنحن أمام مفهوم تشعب ما صدقه، نتيجة للخلفيات الثقافية التي يتشرب منها من جهة، والانتماء الفكري من جهة أخرى.

على الرغم من جماليات المطالب التي تنادي بها النسوية العالمية (الهامش 2) عموما والنسوية العربية خصوصا، ومن حيث المطالبة بوقف عمليات التمييز والإقصاء المفروضة على المرأة، إلا أن النسوية- لا

سيما الراديكالية منها- قد وقعت في تطرف فكري ومَطلبي جعلها تدخل في صدام مباشر مع الكثير من المجتمعات حول العالم، أدت الى رفض بعض أفكار النسوية، او النظر اليها بنظرة ريبة واحتراس.

التعليقات:

يلاحظ قارئ المساهمة أننا أغفلنا عن عمد الاشارة الى اسهامات الفلسفة الاسلامية فيما يخص سؤال المرأة، حيث كان بالإمكان الرجوع الى المتن الرشدي الذي يعتبر علامة فارقة في التمكين لقضية المرأة وحقوقها وضرورة اشراكها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية حتى تستقيم حركة المجتمع، ولا يبقى يعرج على رجل واحدة، نتيجة لتعطيل قوى المرأة وتسفيه قدراتها والدور الذي يمكن أن تلعبه مع الرجل في دفع عجلة التقدم. نقول أن هذا التجاوز لم يكن سهوا وإنما كان الغرض من المقال تتبع تمفصلات قضية المرأة في المتن الفلسفي الغربي وصولا لانقلاب سؤال المرأة وانزياحه لزاوية مؤلجة ضيّقت من المطلب ليصبح منحصرًا في قضية النسوية.

الهامش 1:

الموجة الأولى (1848-1920): بدأت بانعقاد مؤتمر سينيكا فولز في نيويورك يومي 19-20 جويلية 1848 ، والذي يعد أول مؤتمر يعقد لمناقشة حالة المرأة الاجتماعية والمدنية والدينية، وحقوقها.

<https://www.britannica.com/event/Seneca-Falls-Convention>

الموجة الثانية (1963-1980): وكانت هذه الموجة أكثر عمقا في طرحها ومطالباتها من الموجة الأولى، وركزت بشكل أساسي على قضايا النوع

الاجتماعي، أو ما يعرف بالجندر. الموجة الثالثة (منذ 1990 وحتى اللحظة الراهنة): جاءت كرد فعل على تطرف أفكار الموجة الثانية، كما عرفت ظهور الكثير من النسويات حول العالم ومن ذوات البشرة الملونة. موجة رابعة ركزت على قضايا التحرش الجنسي والاغتصاب.

الهامش 2: نذكر منهنّ: جوديث بتلر Judith Butler، سيلابن حبيب Seyla Benhabib، نانسي فريزر Nancy Fraser، سيمون فايل Simon Weill، صبا محمود Saba Mahmood، إديث شتاين Edith Stein، آين راند Ayn Rand، نادية دو موند Nadia de Monde.

المراجع:

1. أفلاطون. (2014). الطيماوس واكرتيس. (éd. 2) دمشق، سوريا: الهيئة العامة السورية للكتاب.
2. أفلاطون. (2023). الجمهورية. مؤسسة هنداوي.
3. الخولي، ي. ط. (2018). النسوية وفلسفة العلم. مؤسسة هنداوي.
4. الرافي، ع. ا. (2020). تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة: من فجر التاريخ إلى الفتح العربي. مؤسسة هنداوي.
5. الرحي، م. (2014). النسوية ومفاهيم وقضايا. (éd. 1) "دمشق: دار الرحبة للنشر والتوزيع.
6. الكردستاني، م. أ. (2004). حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، دراسة نقدية اسلامية. (éd. 1) القاهرة، مصر: دار القلم للنشر والتوزيع.
7. المسكني، ف. (2023). الجندر الحزين. مؤسسة هنداوي.
8. المسكني، ف. ا. (2025). الثورة البيضاء. مؤسسة هنداوي.

9. المسيري، ع. ا. (2010). قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى. (éd. 2). نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
10. أوكين، س. م. (2009). النساء في الفكر السياسي الغربي. (éd. 1). بيروت: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
11. إيبرت، م. ف. (2023). دليل معرفي نسوي تقاطعي. دليل ارشادي، مؤسسة فريدريش إيبرت في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بيروت.
12. حسن، ز. ك. (2021). النشوء التاريخي لموجات الاتجاه النسوي. (éd. ماي 2021. Vol. 63)، القاهرة، مصر: جامعة عين شمس، مركز بحوث الشرق الأوسط.
13. حكيم، ج. ع. (2020). أثر السياسة الاستيطانية في تفكيك المجتمع الجزائري. مجلة تاريخ المغرب العربي، 6(1)، 50.
14. خديجة، ا. (2005). الاسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي. (éd. 1). بيروت، لبنان: بيسان للنشر والتوزيع والاعلام.
15. سوزان، ا. و. (2005). الحركة النسوية. مصر: المجلس الاعلى للثقافة.
16. شندی، ا. ع. (2011). مائة المرأة عند اليونان في العصر الهليني، نماذج مختارة. (Vol. 22) منوفية، مصر: جامعة المنوفية.
17. عجور، ا. (2014). تمثلات السلطة والمعرفة في الخطاب النسوي الليبرالي. فلسطين: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.
18. غيدنز، أ. (2005). علم الاجتماع. (éd. 1). بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
19. قاسم، أ. (1901). المرأة الجديدة. (éd. د. ط.). مصر: مطبعة المعارف.
20. ليهان، ر. (2025). الحداثة الادبية ومابعدھا، الرؤية الموسعة وعوالم النص. (éd. ترجمة، حامد العبد). دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

21. محمد , ب. ع. (2014). إشكالية استقبال المفاهيم الغربية في البيئة الثقافية العربية - مفهوم التنوير نموذجاً. مجلة أبعاد(1) , 90-113.
22. منصور , ر. س. (2019). مفهوم النوع الاجتماعي (الجندر) وقضية المساواة النوعية بين سياسات التنمية الدولية والثقافة العربية. المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية , 1(3) , 440-481.
23. هاردينج , أ. ن. (2017). نقض مركزية المركز، الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد-استعماري ونسوي. مؤسسة هنداي.

Butler, J. (1986). *Sex and Gender in Simone De Beauvoir's Second Sex*. Yale French Studies(72),

للإحالة على هذا المقال:

ـ الكاتب، (السنة)، «عنوان المقال». المواقف، المجلد: ، العدد: ، الشهر السنة، ص. ص.